اجتهادات
ماذا عن علم السياسة؟

إذا صح أن الاقتصاد هو الوحيد الذى أصبح علمًا حقيقيًا من بين العلوم الاجتماعية، فهل يُقصد بذلك أن علومًا أخرى ليست حقيقية؟

سؤال طُرح بصيغات متعددة ضمن تعليقات تلقيتُها على الاجتهاد المنشور فى 18 أكتوبر الماضى (ما تعنيه نوبل للاقتصاد). الجواب ليس سهلا. ومسألة علمية العلوم الاجتماعية محل جدل منذ عقود طويلة0 ويتأثر هذا الجدل فى كثير من الأحيان بشعور المتخصصين فى هذا العلم أو ذاك بالانتماء إليه, ويختلط فيه الذاتى بالموضوعي. ولهذا نترك الجواب مفتوحًا للاجتهادات بمنأى عن العواطف0

ونكتفى هنا بتذكير أن دراسة السياسة على سبيل المثال ظلت مرتبطه فى الأغلب الأعم بالفلسفة والتاريخ والقانون الدستورى إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، حيث تبلور ما عُرف بعلم السياسة فى بعض اللغات, والعلوم السياسية فى لغات أخرى.

والملاحظ أنه عندما أُطلق عليه فى اللغة العربية علوم سياسية, لم يكن الجدل قد بدأ بعد حول ما إذا كان كل من تخصصاته علمًا قائمًا بذاته، أم أن هذه التخصصات فروع متعددة. وهذا خلاف محصور فى أوساط قليلة على أى حال. ومثلها تلك التى يُثار فيها سؤال عما إذا كانت دراسة السياسة بلغت مبلغ العلم بالمعنى الدقيق أم أنها مازالت مشروع علم لم

يكتمل بعد0 والسؤال نفسه مطروح بشأن معظم العلوم الاجتماعية الأخرى.

ويستند السؤال إلى أن القواعد الموضوعية مازالت أقل من الاجتهادات الذاتية فى هذه العلوم، وأن منهجية البحث فيها تخضع لهذه الاجتهادات فى الأغلب الأعم. ولهذا فكثيرًا ما يصل باحثان إلى نتيجتين مختلفتين تمامًا، بل متناقضتين أحيانًا، عندما يبحثان فى الموضوع نفسه. ويستطيع كل منهما أن يصر على أن النتيجة التى توصل لها هى الصحيحة, ويتعذر غالبًا التحقق من صحة أى منهما. وكان هذا شائعًا فى دراسة الاقتصاد، قبل التطور الكبير الذى شهده فى العقود الأخيرة. ولكن يعتقد آخرون فى المقابل أن العامل الذاتى موجود فى العلوم كلها, ولكن العالم أو الباحث يضبط نفسه بقواعد منهجية محددة, أو هذا ما ينبغى أن يكون.